الشنتوية

الشنتو كلمة صينية الأصل مؤلَّفة من مقطعين: (شن) وتعني الروح أو إله، و (تو) وتعني الطريق، فهي، إذاً تعني طريق الإله.

الشنتوية: ديانة وضعية اجتماعية ظهرت في اليابان منذ قرون طويلة، ولا زالت الدين الأصيل فيها، وقد بدأت بعبادة الأرواح، ثم قوى الطبيعة، ثم تطور احترام الأجداد والزعماء والأبطال إلى عبادة الإمبراطور الميكادو، الذي يعدُّ من نسل الآلهة، كما يزعمون، وفي الديانة الشنتوية يوقِّر الناس الأجداد والأسلاف من الزعماء والأبطال والملوك وهناك فرق بين عبادة الأسلاف في الصين، وبين توقير اليابانيين واحترامهم لأجدادهم.

الأفكار والمعتقدات

- يطلق الشنتويون لفظ (كامي) على كل إله أو شيء يسمو فوق الإنسان، كالسماء أو السلطان.
- تطورت فكرة احترام الأجداد إلى عبادتهم، وانحصرت هذه العبادة والتأليه في الإمبراطور الميكادو الخالد في نظرهم، المنزه عن العيوب والنقائص، والسمو به إلى درجة لا يشاركه فيها سواه، وقد جاء في منشور صدر عن وزارة المعارف اليابانية عام (1937) م: (إن أرضنا بلد إلهية يحكمها الإمبراطور وهو إله) ولا ندري كيف يجتمع هذا السخف مع التقدم العلمي في اليابان الحديثة.
- الإمبراطور والدولة هما كل شيء، ولا قيمة للفرد في الديانة الشنتوية، لذلك تعدُّ التضحية به شرف عظيم له.
- يعدُّ الاهتمام بالنظافة أمراً مقدساً، ويكره أتباع الشنتوية كل شيء يدنس الجسد أو الثوب.

الجذور الفكرية والعقائدية (تطور الشنتوية وصلتها بالبوذية)

- تطورت الشنتوية من احترام وتوقير الأسلاف من زعماء القبائل أو الأبطال إلى عبادتهم، وكان رجال قبيلة يماتو أشد الناس إحياء لتوقير السلف من القبائل، وهم الذين صاروا سادة اليابان فيما بعد، وكان زعيمهم المعروف بالميكادو مركز دينهم وعبادتهم، ثم زعموا أن الشمس تمتُّ إليهم بصلة القربى، ومنها تحدد الميكادو، فحسبوه ممثل الشمس وآلهة السماء على الأرض.
- وكانت عبادة أسلاف القبائل الذائعة في اليابان قبل إخضاع أسرة يماتو لها خير ممهد لهذه العقيدة الجديدة، وفعل رجال يماتو الكثير لتبسيطها وتقريبها إلى أذهان العامة، بأن أدخلوا عليها آلهة صغرى هم زعماء القبائل التي دانت بالطاعة والولاء لحكم الأسرة الغالبة، وكان لهذا الجمع بين الآراء السياسية والدينية أثره الكبير في وجود توقير يكاد يبلغ حد العبادة لشخص الإمبراطور.
- وفي منتصف القرن السادس الميلادي هاجر إلى اليابان بعض الكهنة البوذيين من كوريا والصين، وكان لهم أثر عميق في البلاط الملكي، فقد حاولوا أن ينشروا البوذية في اليابان، ولكنهم أخفقوا إخفاقاً عظيماً، وذلك لتمسك الشعب الياباني بالشنتوية.
- وفي القرن الثامن الميلادي استطاع راهب بوذي أن يؤثر في الشنتوية على اعتبار أن آلهتها مظاهر مجسدة لبوذا.
- وفي العصر الحديث حينما استيقظ الشعور القومي في اليابان، وبلغ ذروته في ثورة (1868) م، نفر الشعب من كل ما هو أجنبي، ومنه البوذية فأزيلت تماثيل بوذا من المعابد، وأوقف الكهنة البوذيون عن ممارسة وظائفهم، وعادت الشنتوية ديناً قوميًّا، وكانت الحكومة اليابانية تعمل على توطيد الشنتوية في البلاد للاحتفاظ بعبادة الإمبراطور الميكادو.
- بعد انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية (1939– 1945) م عملت السياسة الأمريكية على إبطال عبادة الإمبراطور، وحاولت القضاء على الوطنية الفائقة التي تغرسها الشنتوية في النفس اليابانية، التي أفرزت أثناء الحرب العالمية الفرق الانتحارية التي أنهكت الأسطول الأمريكي.

- ومن الملاحظ أن البوذية دخلت اليابان ولم تخرج منه، إلا أن البوذية اليابانية تختلف عن البوذية الهندية والصينية في كثير من التعاليم.
- ولكن التسامح سائد بين البوذية اليابانية والشنتوية، ولهذا نرى الناس في اليابان ينتقلون من هيكل بوذي إلى معبد شنتوي دون حرج، والعقائد التي يعتنقها الفرد الياباني العادي مزيج من الشنتوية والكونفشيوسية والبوذية.

كتب الشنتوية:

إنَّ معتقدات الشنتو يتضمنها كتابان يعود زمن صياغتهما بالشكل المتداول حالياً إلى النصف الأول من القرن الثامن الميلادي، والكتابان هما (كوجيكي) و (نيهونجي) وهذان الكتابان يعدان من أهم مصادر عقيدة وفكر ديانة الشنتو.

1–كتاب كوجيكي: أي سجلات الآثار القديمة، وقد كتب عام 712م، وكتب بالأصل بأحرف صينية تصوّر بالألفاظ الصوتية للسكان يتضمَّن أساطير اليابانيين حول خلق العالم وانتشار المخلوقات وارتباطها، والدور الأساس فيها للشمس،

2–كتاب نيهونجي: أي سجلّ الأحداث التاريخيّة لليابان، فقد كتب عام 720م، يعرض تاريخ اليابان منذ القدم حتّى عام 697م، وفيه سعي لإثبات عراقة اليابان، ومكانة الأسرة الإمبراطورية.

الخلق والانبثاق الوجودي وفق كتاب ألـ (كوجيكي):

الأسطورة تقول: إنَّ أوّل الموجودات كان ولد آلهة في أسماءهم: الإلهة المولى مركز السَّماء المهيب، ثُمَّ بعدها كان وجود إله الإنتاج الأعلى المهيب، وأخيراً كان إله الولادات الإلهية، هذا الثالوث من الآلهة، هو الأول من سلسلة الآلهة، له عندهم صور جسدية، حيثُ صرّحوا أنَّ هؤلاء الآلهة كانوا عازبين وقد حجبوا أجسادهم عن الأنظار، ولم يبرروا كلامهم وعمّن كان الحجب ما داموا هم أوّل من وجد، وقد نسبوا إلى هذه الآلهة الأمور الأساسية في الخلق والسلطان.

بعدها كان إلهان من الأرض هذه المرّة، هما: الإله الأمير الرضي، والإله المقيم أبداً في السَّماء، وبذلك اكتمل عندهم عقد الآلهة الخمسة السَّماويين الذين يتميّزون عن الآلهة الأخرى التي يقولون بها.

وبعدهما: الإله المقيم أبداً في الأرض، والإله حقل الفيوم الوافرة، وبعد ذلك يأتي دور الآلهة المتزاوجين، وحسب أسطورة ألـ (كوجيكي) يولد إله الطين وزوجته إلهة السيف، وبعدهما الإله الوتد الصلد وزوجته الإلهة الوتد الهائج، ومن ثَمَّ يولد الإله الذكر الهيكل الكبير وزوجته الإلهة الأنثى الهيكل الكبير، ويأتي دور ولادة الإله الهيئة الناضجة وزوجته الإلهة المعشوق، ومن نسلهما الأباطرة، وهما إلهان تبادلا الغواية، ما يجعل فعلهما قريباً مما كان في الجنّة من غوايةٍ ووسوسةٍ، وهذان الإلهان هما أيزاناكي فوكامي وزوجته إيزانامي نوكامي، وإلى هذين الأخيرين أسندت مسألة التكاثر والخلق والتوالد، ومن عملهما كانت الجزر اليابانية حسب الأسطورة.

وكلّ ما في اليابان مولود إلهي: الجزر، الجبال، البحار، مظاهر الطبيعة (السهول، الجبال، النبات، الأشجار)، وكذلك الحكام الأباطرة الذين انحدروا من سلالة أمايتراس، وبعدهم الشعب الياباني عموماً الذين يعدّونه مميّزاً ومتميّزاً على سائر الشعوب والأمم.

وتوالت عمليات الخلق والانبثاق إلى أن جاء دور ولادة العائلة الإمبراطورية، وهي من أنواع الآلهة، والآلهة في اليابان بالآلاف، والولادة الإمبراطورية جاءت من إله الشمس: أمايتراس.

(أمايتراس . نو . كامي): منذ الزمن القديم ينظر إليه على أنَّه رئيس أصنام نحلة الشنتو، ومن بقاياه قطع مادية يعتقد في قداستها، لأنَّه يعتقد أنَّها ترجع إلى أصل الصنم الرئيس المقدّم، وهذه القطع المقدّسة عبارة عن مرآة وخنجر وبقايا مسجّة.

وتبعاً لهذه القصة، فإنَّ (أمايتراس . نو . كامي) أرسل ولده الذي يدعى: (ني . نيجي) ليحكم بلاد اليابان، ثُمَّ تزوج هذا الابن من ابنة جبل فوجي، وحفيد هذين الزوجين المسمى: (جمّو . تنّو) نصّب نفسه قيصراً وملكاً ذا سلطان وحكم، فهو القيصر الياباني الأوّل.

وبناءً على ذلك، فمنزلة الصنم المقدَّس (الشمس) مستمرة أبدية طالما أنّ حفيده قيصر على اليابان، تقوم عقيدة الشنتو في الأغلب على الأساطير، وكلّ شيء عندهم مقدّس، (تربط معبوداتهم بتعدّد آلهة على علاقة بكلّ مظاهر الطبيعة، حيثُ الكلّ مقدس من الكواكب، إلى الأنهار، إلى الأجداد والسلف، إلى الأباطرة والكثير من المظاهر الطبيعية).

وللشمس مكانةٌ خاصَّةٌ عند الشنتو، وتسمى (أمايتراس) ومنها الضوء، ووفقاً لمعتقداتهم، فإنَّ السلالة الإمبراطورية التي تحكم اليابان منذ آلاف السنين مقدسة، وسبب قداستها أنَّ مؤسسها الأول سليل الشمس المقدسة، وقد وصل إلى الأرض عبر جسر عائم قائم بين السَّماء والأرض، وما يبرر ذلك، أنَّ في معتقدات الشنتو ما مفاده أنَّ الأرض والسَّماء وثيقتا الصلة.

وعندهم مقدّس آخر هو الـ (كامي)، ورغم أنَّ كامي عنصر أساسي في عقيدة الشنتو، إلاَّ أنَّها كلمة يلفُّها الغموض، وأحد فقهاء الشنتوية في القرن الثامن عشر للميلاد، وهو (توري نورينما)، صرّح بعجزه عن فهم كلمة (كامي) وعرّفها بصورة عامة، فقال: (جميع الأشياء أيّا كانت التي تستحق التبجيل، وتبعث على الرهبة، لأنَّها فوق المألوف، وكذلك القوى الضائعة التي تملكها تسمى: كامي).

وقد أوضح موتوري، وهو من علماء الشنتوية في القرن السابع عشر للميلاد، نزعة اليابانيين إلى إظهار التفوّق، وتبريرهم يقوم على مقولة هي: ما دام الإمبراطور الياباني سليل الآلهة المباشرة، فهذا كافٍ لتكون اليابان متفوّقة على بقية الأمم والشعوب.

وكان عندهم من جملة احترام الإمبراطور أن لا تقع عين أحد على عينه، ومن يفعل ذلك يكون آثماً، وكفارة ذنبه الانتحار، وعندما يمرّ موكب الإمبراطور في الشوارع، فالكلّ ينحني والعين مقفلة، أمّا صوته فهو سرّ لا يسمعه إلاَّ الصفوة من رجال البلاط.

العبادة في الشنتوية:

–لم يذهب الشنتو في معتقداتهم إلى الإقرار بإله واحد هو الخالق الواحد للكون، وليس لعقيدة التوحيد مكان عند (الشنتو)، بل هم يؤمنون بتعددية الآلهة والمعبودات التي يقيمون لها المعابد (الهياكل) والأصنام أو التماثيل، وتتلازم عقيدتهم مع موقف أخلاقي حازم لجهة التقديس والطقوس، والطهارة الطقسية، تكون بتمكن الإنسان من إقامة علاقة مع الـ (كامي).

–الشنتو لا يؤمنون بحياة أخرى غير الحياة الدنيا، والموت عندهم ينتهي بجسم المتوفى إلى منطقة ملوّثة، أمّا روح الميّت، فقد أطلق سراحها من قيودها المادية لتصبح مرة أخرى جزءاً من قوى تكوين الطبيعة.

والعبادة عندهم تتضمَّن أربعة عناصر، هي:

1– فعل التطهّر هاراي بالإضافة إلى الاغتسال، عندما يلوح الكاهن بفرع من شجرة السكاكي أو ورقة منها إلى رأس المتطهر.

2– القربان شينس الذي يكون من الحبوب أو الشراب، وهذه الأيام جرت العادة أن يكون من المال، أو قد يكون رمزياً في صورة غصن من شجرة السكاكي.

3– والصلاة عندهم تنحصر نصوصها غالباً بالمطالب البشرية.

4– الوليمة الرمزية: وهي إشارة إلى تناول الطعام مع كامي، وتتبع هذه الطقوس عملية تناول شراب (ميكي) المقدّس، وهو مصنوع من شراب الأرزّ المخمر، ومن المتعبدين من يطلب أداء الرقصة المقدسة للمعبد (كايورا)، وهي على خمس وثلاثين طريقة مستمدة من أساطيرهم القديمة.

–والديانة الشنتو مبسَّطة ولا تطالب أتباعها بطقوس خاصة ومعقَّدة، كما أنَّها على استعدادٍ للتعايش مع أيِّ مذهب، لذلك باتت الشنتو بالنسبة لليابانيين في موقع التاريخ والتراث والعادات، وطقوسها متوارثة يُمارسها معظمهم على أنَّها حالة من التعبير عن الانتماء للوطن والحضارة.

عند هذا يصحُّ القول: (إنَّ مذهب الشنتو ما هو إلاَّ عاداتٍ اجتماعية يابانية تقليدية ومتوارثة عبر الأجيال... إنَّ الشنتو هي أسلوب حياة يعيشها اليابانيون).

–تركز ديانة الشنتو على ثلاثة أمور هي: الشمس ولها صنم أما يتراس، والأسلاف، والعائلة الإمبراطورية، وتقتصر أغلب طقوسهم على زيارات موسمية، وفي ذلك قال ول ديورانت: (لم تكن ديانة شنتو بحاجة إلى تفصيل مذهبي أو طقوس معقَّدة أو تشريع خلقي، ولم تكن لها طبقة من الكهنة خاصة بها، ولا تذهب إلى ما يبعث العزاء في نفوس النّاس من خلود الروح ونعيم الفردوس، فكان كُلّ ما تُطالب به معتنقيها أن يحجوا آناً بعد آنٍ لأسلافهم، وأن يقدّموا لهم ضراعة الخاشعين، ويفعلوا كذلك لإمبراطورهم ولماضي أمتهم).

–وديانة الشنتو لا تستخدم الصور والرسوم في معابدها، لكنَّها تعتمد الرموز، وهي كثيرة وأبرزها المرآة، وهي عندهم تشير إلى الارتباط مع إله الشمس (أما يتراس)، حيثُ المرآة هي الجسم العاكس لنور الشمس، وكذلك يستخدمون السيف والسجّة أو العقد المكون من مجموعة من الحبّات أصلها من الجوهر.

–تختص كُلّ عشيرة بهيكل معيّن كان سببه كما يبدو ذلك التقديس للأسلاف الموجود في ديانة الشنتو، ويشترك الكونفوشيون الصينيون مع الشنتو في هذا الاعتقاد، لهذا كان من الطبيعي أن تلعب عبادة الأسلاف العائلية، العشائرية دوراً فائق الأهمية في الشنتوية، وهناك اعتقاد بأنَّ كُلّ ميّت يتحوّل إلى (كامي) (وهي التسمية العامة التي تشمل كافة الأرواح والآلهة)، ويؤدي ربّ العائلة أو رئيس السلالة الصلوات اليومية كما يقدّم لها القرابين.

–أهمّ الهياكل اليابانية التي يحجّ إليها الشنتويون هو هيكل مدينة آيس على المحيط الهادي، ويُعدُّ أهم هياكل الشنتو، وقد شيّد في القرن الثالث الميلادي، ويتألف من هيكل داخلي مخصص لعبادة آلهة الشمس (أما يتراس) وللجد الأول للأسرة الإمبراطورية، ومن هيكل خارجي تمّ بناؤه في القرن الخامس الميلادي، وهذا أدنى مكانة من الأول، ويخصصونه لعبادة الإلهة (تويوك ميكامي) ألهة الزراعة ودودة القز.

–ومن الهياكل المتميّزة عند الشنتو هيكل تيشا في إزومو، وهو يحمل اسم العشيرة إزومو وهناك هياكل عديدة أخرى في أوزومو، ومن معتقدات الشنتو أن الآلهة يجتمعون في شهر أكتوبر مرتين من كُلّ عام في الهياكل الصغيرة، لهذا كانوا يسمونه شهراً بلا آلهة.